



إيران وإسرائيل ونظرية العداء

للتفتيت، بمجرد أن تنقطع عنها الموارد. يقال في العراق "الطمع على الحسين، من أجل القيمة" (و"القيمة" مرق حمص مجروش ولحم). وهو ما يعني أن أولئك الغلمان سوف يكونون من بين أول من يفر من أرض المعركة.

ولقد حاربت إيران العراق لثمانية أعوام، ولكنها كانت حرب ضعيف للضعيف. ولكن حرباً ضد الولايات المتحدة وإسرائيل ودول المنطقة الأخرى، لن تطول أكثر من ثمانية أيام.

الولي الفقيه يعرف ذلك، وهو يهدد بالحرب الشاملة، بقصد القول إنه إذا جاء الموت، فإن الجميع يتعين أن يدفعوا الثمن.

وما لم تتوفر قناعات لكي تندلع حرب شاملة، فإن المبيعات الجانبية لـ "نظرية العداء" سوف تظل هي الشغل الشاغل لأمد طويل.

وليس الحديث عن "مواجهة"، هذه المرة، سوى أنه إضافة لأسبوع جديد، ما من مظه على امتداد الثلاثين عاماً الماضية، إلا وكان هو الحديث.

وعلى امتداد كل سنوات الحصار، فقد جربت إيران أن تعيش بلا نفط، ولكنها لم تستطع العيش من دون تسخين الكلام عن المواجهة المحتملة مع إسرائيل. من لا يعرفون الثقافة الصفوية، أو منهاجها النظري في الحديث عن "إزالة إسرائيل من الوجود"، يُغشي الكلام على أبعصارهم فيظنون أن الأمر حقيقياً، وأنه يحمل طابعاً طارئاً وعاجلاً.

الحقيقة هي أنه مجرد "تسخين" لطبخة حمص، مؤجل أكلها، إلى ما قبل يوم أو يومين من يوم القيامة. إنها عداوة ذات طابع قدرتي أو لا وحسبها لن يأتي إلا عندما يأتي "المهدي المنتظر". وهو ما يعني أن الذين يصدقون وعود إيران بخوض معركة مباشرة مع إسرائيل، عليهم أن ينتظروا هم أيضاً ذلك المهدي المنتظر.

إزاء "نظرية عداء"، ولسنا نرى عداوة بطبوي على تهديد فعلي. يستطيع حتى الأعمى أن يلاحظ أنه ما من أسبوع من الثلاثين عاماً الماضية كلها، إلا وكان هناك حديث عن ضربة توجهها إسرائيل والولايات المتحدة لإيران، أو أخرى توجهها إيران لإسرائيل. ولا يفعل رئيس الأركان الإسرائيلي الحالي، سوى أن يكرر "النظرية" التي دأب عليها أسلافه. فالرجل "يبيع" ما باعه الذين سبقوه. بينما لا يفعل الولي الفقيه وعلمانه، سوى أن يرفعوا شعارات "الموت لأمريكا، والموت لإسرائيل"، لأنهم من دونها ماذا سيفعلون؟

إسرائيل هي "عدو الشغل" لإيران، وإيران هي "عدو الشغل" لإسرائيل. والغاية الوحيدة من التحرشات الجانبية، هي المحافظة على سخونة الطبخة، وذلك حتى يصبح الحمص جاهزاً للأكل، يوم القيامة. أو قبله بقليل.

"المبيعات الجانبية" لنظرية العداء أو المواجهة بين إيران وإسرائيل سوف تتوقف، إذا ما اندلعت حرب فعلا. إسرائيل تعرف ذلك كما تعرفه إيران. مثل أي حرب سبقها الكثير من السنين الأيديولوجية، فإنها إما أن تنتهي بغالب ومغلوب، وإما بمعاهدة سلام.

إسرائيل والولايات المتحدة لن توجهها ضربة لإيران إلا في إطار الاستعداد لحرب شاملة. وهذه الحرب لا بد وأن تنتهي بسقوط نظام الولي الفقيه. وما يحاول بعضنا أن يقوله هو أن ذلك يقدم أفضل الخدمات الاستراتيجية للولايات المتحدة وإسرائيل ولدول المنطقة في آن معا، كما أنه يُرسى أساسا لعالم جديد حقا، يقوم على التعاون والشراكة والتنمية، ويزيل ثقافة التناحر. إلا أن القناعة لم تتوفر بعد للأخذ بهذا الاتجاه. وما يحاوله رؤساء الأركان، هو أن يُعدوا الخطط ليقولوا إنهم "جاهزون"، ولكنهم مضطرون إلى أن يتروكا الأمر للسياسي الذي يجبي عوائد مبيعاته الجانبية من تلك الجاهزية.

نظام الولي الفقيه، في المقابل، إذا كان لا يُعادي إسرائيل إلا من وجهة نظر يوم القيامة، فإنه لا يقدر على المواجهة أصلا. نظامه الدفاعي كله قائم على الصواريخ والمليشيات. وهو يعرف أنه بينما لدى الطرف الآخر صواريخ أكثر دماراً وأكثر عدداً، فإن غلمان الولي الفقيه ليسوا سوى كيانات هشة، وقابلة

علي الصراف
كاتب عراقي

المواجهات غير المباشرة بين إيران وإسرائيل، لا تخفي حقيقة أن الطرفين لا يريدان مواجهة مباشرة. ليس لأنها تنطوي على تكاليف، بل لأن المواجهة المباشرة يُفترض أن تنتهي إلى غالب ومغلوب، وهذا ما لا يريده أي منهما.

وهناك سبب لذلك، هو أن "المبيعات الجانبية" الراهنة لـ "نظرية العداء" بينهما سوف تسقط ليحل محلها السعي إلى إزالة الآخر.

توجه الطائرات الإسرائيلية ضربات كل يوم تقريبا إلى الميليشيات التابعة لإيران في سوريا. والدافع الرئيسي لذلك هو أن إسرائيل لا تريد جبهة ميليشياوية جديدة توسع الجبهة مع حزب الله في لبنان. وسواء بقي الرئيس بشار الأسد، وهو مفيد، أم رحل، فإن إسرائيل تريد أن تبقى لاعبا مؤثرا في المعادلة السورية، على الأقل لأنها تريد أن تحافظ على احتلالها لمرتفعات الجولان، وتكريس ضمها، إن لم يكن بالتراضي، فبحكم الأمر الواقع.

وإسرائيل كلها أمر واقع. وهي لم تبني على امتداد ثلاثة أرباع القرن، إلا عليه، إنها وجود من طابق واحد قائم على الغرض والقوة. ونظرية العداء مع إيران توفر لها الآن الفرصة لكي تبني فوقه طابعا آخر.

تريد إسرائيل أيضا أن تجعل من مواجهة "التهديد الإيراني" منخلا للانتساب إلى المنطقة. والدليل الوحيد المنح لهذا المدخل حتى الآن، هو تلك الضربات الجوية لمليشيات إيران في سوريا، وأعمال التحرش الطفيفة الأخرى، ومنها اغتيالات العلماء داخل إيران. وهذا كله لكي يُبقي أوار "العداء" قائما.

أما الانتساب إلى المنطقة نفسه، فهو هدف يقصد تحويل "الأمر الواقع" الإسرائيلي إلى شراكة في مواجهة "عدو واحد". فهو يعزز مكانتها في المنطقة ويجعل من قبولها ميزرا، ويمتدحها دورا. وهذه "مبيعات جانبية" ثمينة. ومثلما أن بناء كيان من طابق استراتيجي واحد استغرق ثلاثة أرباع قرن، فإن المنافع المنتظرة من بناء الطابق الثاني للوجود قد يستغرق مقادرا

مساويا من الزمن والشراكات لا تبني على عجل. ولا تُؤتى ثمارها على عجل. وهو ما يعني أن الذين يريدون من إسرائيل أن تكون شريكا فعليا في حرب مع إيران سوف يضطرون إلى أن ينتظروا طويلا.

الإيرانيون الذين يتمددون في المنطقة انطلاقا من مشروع أيديولوجي، بهمهم تماما، أن يبقي "العداء" قائما لتغذية دوافعهم الأيديولوجية. فمن دون مواجهة إسرائيل و"السعي إلى إزالتها من الوجود"، يسقط ما لا يقل عن نصف ذلك المشروع، ويتعزى كمشروع طاغفي ذي بُعد واحد، يستعدي المسلمين الآخرين فقط.

إيران تحتاج إسرائيل أكثر مما تحتاج إلى النفط، برغم أنه موردها الوحيد. لأنها قد تجد سبيلا للعيش من دون تصدير النفط، إلا أنها لن تجد سبيلا لتصدير الثورة من دون "العداء" مع إسرائيل. ليس في هذه المنطقة على الأقل، حيث شكّل الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي ركنا ثابتا من أركان الضمير.

أف 35 أكثر من عقد تسليح أميركي للإمارات

مع الولايات المتحدة، فهذه ليست المهمة تمت. ثم جاء قرار إعادة النظر من الإدارة الجديدة، وهو قرار يبدو شكليا لكنه يحمل الكثير من الدلالات. هذه إدارة لديها اجندتها الإيرانية الخاصة، وهي مدركة لما يمكن لهذا النوع من الطائرات المقاتلة إحداثه من قدرة ردع.

الردع سيكون الأساس. فبعد هجوم المسيرات وصواريخ كروز الإيرانية على منشآت أبيق التغطية السعودية وتمكنها من ضربها بلا أي تحد ملموس من الدفاعات الجوية السعودية، صار واضحا أن جزءا مهماً من الخليج أصبح مكتشفا، سواء أطلقت الصواريخ عليه من إيران أو من حلفائها في اليمن أو العراق. ونظرا لرخص إنتاج وسهولة تصنيع هذه الصواريخ والمسيرات، والوفرة من هذه الأسلحة التي تستعرضها إيران في مناوراتها المتواصلة، يمكن أن نتخيل أن استخدامها هذا السلاح البسيط والفعال وارد، وأن الأسلحة المضادة له ستكون أمام تحدي التقنية البسيطة والعدد الوفير في أن. هذا يستحث لإعادة النظر في كل فكرة الدفاع عن الخليج.

الإمارات من أقرب الدول الحليفة للولايات المتحدة في المنطقة. إحساسها بالأمان ضروري وهي في مواجهة إيران التي لم تترك فرصة تخويف وترهيب إلا ومارستها في مواجهة من حكمت بأنهم أعداؤها. الإمارات بالأصل خارج المواجهة الأيديولوجية بين إيران والسعودية والتي تتصاعد وتبرد وفقا لمعطيات مختلفة، لكنها بلغت ذروتها منذ انهيار منظومة التوازن الاستراتيجي بوجود العراق، مرة أولى عام 1991، وثانها عام 2003. وتدرك الإمارات أن الحرب هي آخر ما تريده لهذه المنطقة التي تبحث عن الاستقرار.

وما واجهتها مشروع الإسلام السياسي الإخواني إلا لتكثير بان نسختي الإسلام السياسي الشعبي، والسني اللتين تتصارعان منذ 1979، لا تنقصهما نسخة إضافية شاهدنا كيف تتحول بسرعة إلى مذحربي وإرهابي في سوريا وليبيا. لهذا، ولأسباب كثيرة أخرى، يصبح من الصعب تقبل أن تؤجل الولايات المتحدة صفقة أف 35 أو أن تتامل في إقرارها. حتى مجرد التفكير في أن تصبح جزءا من الضغط على حلفاء واشنطن في المنطقة لقبول الاتفاق النووي، وترك التفاصيل الأخرى من صواريخ ونفوذ على طاولة المفاوضات غير وارد ولا مقبول.

الرئيس الأميركي جو بايدن كاثوليكي ملتزم. في الطريق بين بيته والبيت الأبيض توقف يدرك في الكنيسة. هذا الورع يجعله يدرك خطورة خيانة الحليف. ورعه الديني يجعل يهون الأيديولوجي حاضرا في ذهنه دائما. لا تعرف كم من القضية ستعطيها إيران "لبيع" ما بين دولة حليفة مثل الإمارات، أو أن يساوم على أمنها وأمن المنطقة كل.

في واشنطن لإدارة جو بايدن أن المهمة تمت. ثم جاء قرار إعادة النظر من الإدارة الجديدة، وهو قرار يبدو شكليا لكنه يحمل الكثير من الدلالات. هذه إدارة لديها اجندتها الإيرانية الخاصة، وهي مدركة لما يمكن لهذا النوع من الطائرات المقاتلة إحداثه من قدرة ردع.

الردع سيكون الأساس. فبعد هجوم المسيرات وصواريخ كروز الإيرانية على منشآت أبيق التغطية السعودية وتمكنها من ضربها بلا أي تحد ملموس من الدفاعات الجوية السعودية، صار واضحا أن جزءا مهماً من الخليج أصبح مكتشفا، سواء أطلقت الصواريخ عليه من إيران أو من حلفائها في اليمن أو العراق. ونظرا لرخص إنتاج وسهولة تصنيع هذه الصواريخ والمسيرات، والوفرة من هذه الأسلحة التي تستعرضها إيران في مناوراتها المتواصلة، يمكن أن نتخيل أن استخدامها هذا السلاح البسيط والفعال وارد، وأن الأسلحة المضادة له ستكون أمام تحدي التقنية البسيطة والعدد الوفير في أن. هذا يستحث لإعادة النظر في كل فكرة الدفاع عن الخليج.

الإمارات من أقرب الدول الحليفة للولايات المتحدة في المنطقة. إحساسها بالأمان ضروري وهي في مواجهة إيران التي لم تترك فرصة تخويف وترهيب إلا ومارستها في مواجهة من حكمت بأنهم أعداؤها. الإمارات بالأصل خارج المواجهة الأيديولوجية بين إيران والسعودية والتي تتصاعد وتبرد وفقا لمعطيات مختلفة، لكنها بلغت ذروتها منذ انهيار منظومة التوازن الاستراتيجي بوجود العراق، مرة أولى عام 1991، وثانها عام 2003. وتدرك الإمارات أن الحرب هي آخر ما تريده لهذه المنطقة التي تبحث عن الاستقرار.

وما واجهتها مشروع الإسلام السياسي الإخواني إلا لتكثير بان نسختي الإسلام السياسي الشعبي، والسني اللتين تتصارعان منذ 1979، لا تنقصهما نسخة إضافية شاهدنا كيف تتحول بسرعة إلى مذحربي وإرهابي في سوريا وليبيا. لهذا، ولأسباب كثيرة أخرى، يصبح من الصعب تقبل أن تؤجل الولايات المتحدة صفقة أف 35 أو أن تتامل في إقرارها. حتى مجرد التفكير في أن تصبح جزءا من الضغط على حلفاء واشنطن في المنطقة لقبول الاتفاق النووي، وترك التفاصيل الأخرى من صواريخ ونفوذ على طاولة المفاوضات غير وارد ولا مقبول.

الرئيس الأميركي جو بايدن كاثوليكي ملتزم. في الطريق بين بيته والبيت الأبيض توقف يدرك في الكنيسة. هذا الورع يجعله يدرك خطورة خيانة الحليف. ورعه الديني يجعل يهون الأيديولوجي حاضرا في ذهنه دائما. لا تعرف كم من القضية ستعطيها إيران "لبيع" ما بين دولة حليفة مثل الإمارات، أو أن يساوم على أمنها وأمن المنطقة كل.

هيثم الزبيدي
كاتب من العراق
مقيم في لندن

في وصف لقدرات المقاتلة أف 35، يقول خبير إن الأثر الذي يربصد للطائرة المقاتلة في أحسن أحوال عمل أجهزة الرادارات المتقدمة، هو بحجم كرة معدنية بقياس كرة الغولف أو كرة المنضدة. هذا يلخص صعوبة التقاط إشارات الرادار المنعكسة عنها وتوجيه أي دفاعات لمواجهة هذه الطريقة يمكن فهم أن الطائرات الإسرائيلية تحوم فوق بلد مثل سوريا أو في مناطق غرب العراق من دون خوف أن ترصد أو تستهدف، وتضرب كما يحلو لها تجمعات الحرس الثوري الإيراني وأسلحته المختلفة وخصوصا منها المسيرات والصواريخ، على الرغم من أن أجهزة الرادار الروسية تصف إلى قدرات الرصد لدى السوريين والإيرانيين والعراقيين. أف 35 نقلة نوعية في السلاح.

لو اخترزت الإنجازات العلمية والتقنية الحديثة في شيء، يمكن أن تضعها في المقاتلة الأميركية الحديثة أف 35. فالقاتلة متعددة المهام من الجيل الخامس، تجمع واجبات القتال الجوي بأنواعها انطلاقا من القواعد الأرضية أو حملات الطائرات، وتمتلك خاصية التسلل (الشبح كما صار الوصف) من دون أن تكشفها الرادارات العادية والحرارية. يمكن أن تقلع عمليا مثلما يشبه المروحية، أو من مدرج قصير جدا، وتحمل معدات التوشيش الراديو قبل أول مواجهة صواريخ تستهدفها. تخفي أسلحة في داخل بدن الطائرة مما يجعلها أكثر مرونة وبقدرة تخف استثنائية. وقد تم تصميمها بالكامل على الكمبيوتر قبل أول تجربة طيران، وتحمل على متنها أفضل ما يمكن أن توفره تقنيات المعلوماتية، والتحكم بالكمبيوتر - فلاي باي واير. والأهم من هذا كله أنها مصممة لكي تعمل للمشتر من السنين كطائرة تفوق جوي يمكن من خلالها الاستغناء عن أجيال كاملة من المقاتلات التي تحتاج إلى عمليات صيانة أكثر تعقيدا وكلفة، الذي يشترى هذه المقاتلة المتطورة يسهم بأثر رجعي في كلفة تطويرها، ويشارك أيضا في تطوير القادم من التكنولوجيا الحربية. لا عسا سحرية تنتج مثل هذه التقنيات المتقدمة.

كان الحرص الإماراتي واضحا لاقتناء هذه المقاتلة الفريدة من نوعها. بعض المعلقين نظروا إلى العقد التسليحي كهدية لإدارة الرئيس السابق دونالد ترامب في أواخر شهر الإدارة. هذه قراءة ساذجة لا تنتمي إلى واقع التوازنات الاستراتيجية في المنطقة بشيء. في الحقيقة، كانت الإمارات في قمة الاستعجال لأن تنجز الصفقة، وهذا ما تم حين أعلن سفيرها في واشنطن يوسف العبيدة في الدقائق الأخيرة من ماراثون انتقال السلطة

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

